

دور حكومة السعودية في تعميق معاناة حجاج بيت الله، وتحريف مقاصد الحج.

إن تحديد حصة كل دولة يتم وفق معادلة حسابية معمول بها منذ نحو 28 سنة، وتقوم على نسبة 1/1000 ، أي 1000 عن كل مليون نسمة في البلاد. وبسبب أعمال التوسعة المقامرة بالحرم المكي، تم تخفيض أعداد حجاج الخارج بنسبة 20%， ومن داخل المملكة بنسبة 50%， الأمر الذي انعكس سلباً على أسعار تكلفة الحج، حتى أن بعض منظمي الرحلات قاموا بتحفيض أيام الإقامة والزيارات، بل وببعضهم قام بإلغاء زيارة المدينة والحرم النبوي من البرنامج تماماً.

فإرتفاع الطلب على الحج في معظم البلدان الإسلامية ولدى غالبية المسلمين الذين يتطلعون إلى هذه الرحلة التعبدية للديار المقدسة، خاصة في ظل تنامي ظاهرة التدين الشكلي، فنسبة أولئك الذين يرغبون في أداء الحجة الثانية والثالثة وربما العشرين في تصاعد في مختلف بقاع العالم الإسلامي، مع العلم أن إنفاق هذه المبالغ على فقراء البلد لا يقل أهمية وثواباً عن الحج المتكرر والعمرة كل عام، فإطعام البطون الجائعة أعظم عند الله من كسوة الكعبة بثوب الحرير المرصع بالذهب، و التوسيع على فقراء المسلمين و السعي في تأمين حاجاتهم لا يقل أهمية عن السعي بين الصفا والمروءة، نحر الأضحية يعني نحر كل عبادة لغير الله، بمعنى نحر حب المال ونحر الأنانية وحب الذات، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ {الحج:77}

فالفهم المحدود لمقاصد الإسلام الكبرى يشمل أيضاً هذه الشعيرة العظيمة عند الله، فكم من مسلم يحج بيت الله أكثر من مرة، ويعتمر كل سنة بألاف الدولارات ، وربما لا يحرص بالقدر نفسه على أداء زكاة ماله، ولا يبذل قليل جهد في السعي لمصالح الناس وتسخير جزءاً مما أتاها الله في مساعدة الفقراء و تفريج كربهم، وما أكثر المحتاجين و اليتامي و المساكين الذين في حاجة للعون وهم أولى بالعناية و الاهتمام قال تعالى: ﴿لَّمَّا يَمْسَسَ الْبَرَّ أَنْ تُوَلِّهُوا وَجُوْهَرَكُمْ قَبْلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكُنَّ الْبَرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ أُلَّا خَرَ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالذَّبَيْبَينَ وَآتَى الْمَمَالِعَ لَمَّا حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَانِ وَالْيَتَامَاهِ وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُؤْفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالصَّرَاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾ [البقرة : 177]...

كما أن توجه الحكومة السعودية في التعامل مع الحرمين الشريفين، على أنهم مصدر للحصول على العملة الصعبة، وإنعاش السياحة الدينية لتوفير المزيد من الدخل، والاستثمار الطائل والبالغ فيه، في بناء الفنادق ذات الخمس نجوم على مشارف الحرم المكي، وعلى حساب المساحات المحيطة بالحرم و التي ينبغي أن توظف لزيادة عدد الوافدين بغرض خفض الكلفة الإجمالية للحج، والاهتمام براحة ضيوف الرحمن و توفير السبل التي يجعلهم أكثر خشوعاً لرب البيت العتيق...

فارتفاع تكلفة الحج أصبحت عائقاً في وجه غالبية المسلمين، خاصة في البلدان متعددة ومنخفضة الدخل، وارتفاع الكلفة نابع من ارتفاع الطلب على الحج وضعف الحصول المتاح لكل بلد، واستثمار السعودية في مشاريع التشييد والتوسعة ومحاوله ترحيل كلفة هذه الاستثمارات ليتحملها حجاج بيت الله تعالى عبر رفع رسوم الحج...

والمثير للانتباه أن السعودية أصبحت تتعامل مع الحرمين على أنهما مصدر من مصادر الدخل والتشغيل، ولذلك فمن غير المعقول المن على الحجاج بأن حكومة السعودية وفرت لهم الفرصة لأداء الحج، كما لو أن هذا الحج يتم مجاناً !! فالحج يدفع كلفة الغداء والإقامة و يؤدي رسوم الحج ، كما ينفق الأموال في النقل و في شراء الأضحية بأكثر من ثمنها في السوق مع أنه لا يستفيد من لحومها، بل إن ماء زمزم تم تسلیعه ...

ومبدئياً، ليس هناك ما يمنع شرعاً من تحقيق مكافآت و منافع مادية من الحج، لكن ينبغي أن يكون ذلك باعتدال ودون استغلال حجاج بيت الله و التضييق عليهم، انطلاقاً من مبدأ التيسير لا التعسیر ، فمكة المكرمة عبر التاريخ بأنها مهوى التجار، وما زالت حتى الآن كذلك، خاصة في موسم الحج، حيث تشتد الحركة التجارية لإقدام الحجاج على الإنفاق على مختلف حاجياتهم مثل الهدايا التي تستأثر بنحو 14% من إجمالي إنفاقهم، قال تعالى: {لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَبْدِلُوا فَمَّا لَا مِنْ رِّبْبِكُمْ} [البقرة: 198] فـإـذـا أـفـصـدـتـمـ مـنـ عـرـفـاتـ فـإـذـ كـرـرـوـاـ اللـهـ عـنـدـ الـمـشـعـرـ الـحـرـامـ وـإـذـ كـرـرـوـهـ كـمـاـ هـدـاـكـمـ وـإـنـ كـنـتـمـ مـنـ قـبـلـهـ لـمـنـ الضـالـلـينـ

ومن المفارقات أن يقوم إمام خطبة عرفة، بتوجيهه أمر للحجاج بالدعاء لخادم الحرمين ولولي عهده، لأنهم وفروا السبل لحج بيت الله الحرام، وغاب عن ذهنه أنهم يأخذون رسوماً مبالغة فيها ، و الخدمات التي يتم توفيرها فهي مدفوعة الثمن، وفي السابق قبل قيام المملكة السعودية كان الحج مفتوحاً في وجه جميع المسلمين، و لا يحتاج الحاج إلا لداية ليتمتها، وأن يتتوفر على قدر من المال من أجل قوته و قوت دابته...فالحدود مفتوحة و بيت الله لعباد الله المسلمين دون تمييز...

فالحج في ظل الوضع الراهن أصبح بعيداً كل البعد عن مقاصد الإسلام، فالحج مؤتمر إسلامي للتقارب والحوار و تدارس قضايا الأمة وخطبة عرفة هي بيان شامل لحال الأمة الإسلامية بكل، فأين هي معاناة الشعب اليمني المسلم الذي يسفك دمه بأيدي عربية مسلمة وبأموال ربما بعضها من مداخلات الحج، وأين هم

مسلمي قطر الذين منعوا من أداء مناسك الحج بقرار سياسي من الرياض؟ كما أن الحج فرصة لتجدد من حب الدنيا وزخرفها و تذكير المسلمين بيوم الحشر، عندما يقف الناس جميعاً وفي صعيد واحد أمام رب العالمين فلافرق يومئذ بين غني و فقير ولا أمير و غيره، لذلك فإن تشييد البروج المشيدة وكسوة الكعبة بالحرير والذيباج ليس هو الغاية من الحج، و ليس أفضل الطرق لتقرب إلى الله تعالى، قال الرسول ص عليه وسلم : {لأن تهدم الكعبة حجرًا حجرًا، أهون عند الله من أن يراق دم امرئ مسلم} .. فالبيت العتيقبني بحجارة مرصوصة لا تختلف عن أسلوب بناء غالبية بيوت المسلمين، و في ذلك رسالة لكل مسلم أن الله جل وعلا برئ مما يحدث باسم خدمة البيت الحرام، فالغاية ليس توفير "ميكرفون" من ذهب خالص، وإنما الغاية والقصد إخلاص العبودية الله و قول كلمة الحق، و القصد ليس تشييد البروج العالية وإنما القصد التيسير على الحاج لا التضييق عليهم، بدعوى ارتفاع تكاليف التشييد او المصيانة...وحسينا الله ونعم الوكيل...

إعلامي و أكاديمي متخصص في الاقتصاد الصيني والشرق آسيوي